مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

الحزب الشيوعي الجزائري أم في الجزائر؟

اشكاليات جزائريّته واستقلاليّته عن الحزب الشيوعي الفرنسي و وَطنِيّته (1920–1946)

Le Parti Communiste Algérien ou en Algérie ?problématiques de son algériennité de son indépendance vis à vis du PCF et de son nationalisme (1920–1946)

[1] أ.د/ حباسي شاوش Habbaci Chaouch
[1] جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)
المؤلف المرسل: أ. د/ حباسي شاوش الإيميل:habbacichaouch@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 06 /11/ 2024 تاريخ القبول: 09 /12/ 2024

الملخص: بحثنا هذا يحاول الإجابة عن ثلاث اشكاليات تخصّ " الحزب الشيوعي الجزائري" ، أولاها " جزائرية " هذا الحزب ، فهل كان جزائرياً بمفهومنا التحرّري والمعاصر ، أم كان بالمفهوم الاستعماري الاستيطاني يمثّل مصالح الأوربيين حقيقة ومصالح الجزائريين عرضاً ثانويّاً ؟ أم بالمعنى الجغرافي الذي يَعْتبِر كل ساكني الجزائر جزائريين ، جزائريين مسلمين كانُوا أم أوربيّين ؟

وثاني الاشكاليات مَدى استقلالية هذا الحزب عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، فهل كان "الحزب الشيوعي الجزائري" يملك قراره واستراتيجية سياسته ، أم كان امتدادًا وأداة للحزب الشيوعي الفرنسي من وراء البحر ؟

وثالث الاشكاليات تدرس " وَطَنِيّة " هذا الحزب : فهل كان يعمل لتحرير الجزائر من الاستعمار فعلاً أم كان مثبّتاً له باستراتيجيته الخاصة وتكتيكه وأدواته المختلفة ؟

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية– الحزب الشيوعي الجزائري الحزب الشيوعي الفرنسي

Résumé: Cet article éclaire trois problématiques concernant ce qui fut nommé le Parti communiste algérien ,créé en octobre 1936 en tant que tel, à savoir son « algériennité » son « nationalisme » et son « indépendance vis-à-vis du Parti communiste français ».

Mots clé..: Mouvement national algérien- PCA- PCF:.

1- جزائرية الحزب الشيوعي:

1.1- تحقيق إحصائي في التركيبة البشرية للحزب الشيوعي :

الحزب الشيوعي في الجزائر كان "في نظر الجزائريين " حزباً رُومياّ " (أوروبياً) [1] ، فمسألة " جزائريته " هي نفسها ابتداءً تحتاج إلى تحقيق. والتحقيق في جزائريّته يتطلّب دراسة التركيبة البشرية عن طريق تتبّع عدد المنخرطين الجزائريين في الحزب الشيوعي في فرع الفدرالية الشيوعية في الجزائر (1925/1920) ثم ما سُمّي المنطقة الشيوعية في الجزائر، ابتداءً من 1925، والتي انبثق منها " الحزب الشيوعي الجزائري" في أكتوبر 1936 . وتتبّع التركيبة البشرية لفروع الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر ثم الحزب الشيوعي في الجزائر يقتضيه ويلزمه الارتباط العضوي التنظيمي و الإيديولوجي السياسي بينهما طيلة فترة هذه الدراسة وما بعدها بسنوات.[2] ودراسة التكوين البشري للحزب الشيوعي في الجزائر كفيلة بتحديد الهويّة الحقيقية للحزب ومدى تمثيله للجزائريين.

ولم تكن الفروع الجديدة للجزب الشيوعي فى الجزائر بعد 1920 تقبل انخراط الجزائريين في صفوفها وكانت العضوية فيها تقتصر على الأوربيين، فألحت الأمميّة الشيوعية على تجنيد الجزائريين في هذه الفروع وتكوينهم وتنظيمهم وترقيّتهم إلى مستوى المسؤولية. [3]

ذكر تقرير للجنة الشؤون الأهلية أن عدد المنخرطين في العاصمة وضواحيها كان ثمانين(80) منخرطاً سنة 1925. [4] ولا نملك إحصائيات للجزائريين في صفوف الحزب الشيوعي في السنوات 1934/1926، لكن الاحصائيات الخاصة بالمناضلين الشيوعيين في الجزائر تقلّصت كثيراً في السنوات 1934/1929، حيث بلغت على التوالي : 280 منخرطاً سنة 1929 و 200 سنة 1931 و 130 سنة 1932 و 150 سنة 1934.[5]

وحتماً أن يكون عدد الشيوعيين الجزائريين قليلاً جدًّا لأن الأغلبية الساحقة في هذا التيّار كانت دائمًا للعنصر الأوربي. وكان عدد الشيوعيين الجزائريين في السنوات 1937/1935 على النحو التالي :

10/1 في 1935(من مجموع سبعمائة (700) من المنخرطين الأوروبيين والجزائريين).

6/1 في 1936(من مجموع أربعة آلاف ومائتين وخمسين (4250).

5/1 في 1937(حوالي ألف منخرط من مجموع خمسة آلاف ومائة (5100). [6]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

لكن عدد الجزائريين المنتمين للحزب الشيوعي في الجزائر تقلّص في منتصف 1937، وعرف انحساراً كبيراً في نهاية السنة بسبب يأس الجزائريين من الجبهة الشعبية التي كان الشيوعيون حلفاءها ، وظهور حزب الشعب الجزائري الوطني الذي استقطب كثيرًا من العناصر التي كانت منتمية للحزب الشيوعي. فالمنطقة الشيوعية للجزائر العاصمة – كما كان الشيوعيون يسمّونها – فقدت ثلاثة مائة (300) مناضل من مجموع أربعمائة (400) خلال 1938، بينما كان عدد مناضلي حزب الشعب في نفس المدينة أعلاه حوالي تسعمائة (900) مناضل.(7)

والاحصائيّات المتوفّرة للتشكيلة البشرية للحزب الشيوعي في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية تشير إلى انهيار شبه كامل وغياب شبه كلي للعنصر الجزائري. وسبب ذلك حلّه عام 1939، كذلك فأن حكومة فيشي التي نصّبها الألمان بعد احتلال فرنسا كانت تطارد الشيوعيين في فرنسا وفي الجزائر مثل الألمان الذين كانوا يعتقدون جزماً بأن الشيوعية ما هي في الواقع إلا غطاءً لمشروع الهيمنة اليهودي على العالم . ففي 1941 تكوّن هذا الحزب في أغلبيته من لاجئين شيوعيين إسبان (من مجموع 25 شيوعي اعْتُقِلوا من شرطة الاحتلال 15 منهم كانوا إسباناً . وفي 1942/2/6 حُوكِم في المحكمة العسكرية بوهران 43 مناضلاً شيوعياً وكانوا كلّهم لاجئين سياسيين إسبان ، والأمين العام للحزب كان نفسه إسبانياً (توماس أَبَانِيز) . ولم يكن في اللجنة المركزية للحزب في هذه السنة إلا جزائرياً واحداً (اسمه كاتب والذي عُوّض بعد اعتقاله بعلي دياباش). (8)

2.1- عن الأطر الجزائرية في الحزب الشيوعي في الجزائر:

أما عن الأطر الجزائرية في هذا التيار فقد تطوّر ببطء و بمعارضة داخلية شديدة كثيراً ما كانت تحتاج إلى تدخّل قيادات الحزب الشيوعي الأمّ تباعاً ثم الحزب الشيوعي في الجزائر لفظّ هذه المعارضة. وكانت تضطر اضطراراً لفصل العناصر شديدة المعارضة لتعيين أطر جزائرية في الهياكل القيادية للحزب وتنتصر لتوجُّهِهَا الذي كانت تعتبِرُه " استراتيجيًّا ".

ففي ابريل 1934 تم انتخاب الهيئات الجهوية للحزب الشيوعي في اجتماع الندوة الوطنية بالعاصمة التي دعا إليها أنْدرِي فِيرَا – المكلّف من قيادة الحزب في فرنسا بإصلاح وتنظيم فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر – وقد " فرض أغلبية أهلية " وجدّد الأطر المسيّرين : أصبحت اللجنة

الجهوية تتكوّن من 10 أعضاء منهم 6 " جزائريين ، والمكتب الجهوي من 6 أعضاء منهم 4 جزائريين. ثم أصبح في 1935 مكوّناً من 4 أعضاء فقط، ثلاثة جزائريين وأوروبي واحد.[9]

وفي1936 عيّن بن علي بُوكُورْت أميناً عامًا للحزب الشيوعي في الجزائر ، يلازمه ممثّل الحزب الشيوعي الفرنسي .[10] وهذه الملازمة التي سمّاها بعض الباحثين " الأمانة المزدوجة الأوربي والمستعمَر" والتي بدأ العمل بمقتضاها ابتداءً من 1925، أصبحت القاعدة خلال فترة حكم الجبهة الشعبية. [11] وهذه الازدواجية في التمثيل توحي بمن يملك في واقع الأمر سلطة القرار، وتصنّف المنتمين للحزب بالنظر إلى أصولهم العرقية لتكرّس تفوق الأوربي على الجزائري. وقد استقال بُوكُورْت من الحزب الشيوعي في الجزائر عام 1939 بعد أن وقف في روسيا ، عندما كان متربصاً في مدرسة الكومنتيرن ، على اضطهاد النظام الروسي و مُنْشِئ الكومنتيرن أو الأممية الشيوعية التي تقود الحركات الشيوعية في العالم للمسلمين وللشعب الروسي نفسه .

و ضمّ المكتب السياسي المنتخب من المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في الجزائر في ديسمبر 1937 جزائرَيين هما أوزغان و ديباباش من مجموع 5 اعضاء ثلاثة منهم أوروبيين. كما منحت للجزائريين الأغلبية في تشكيلة الأمانة للحزب. [12]

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد توزّع الجزائريون مقارنة بالأوربيين داخل الحزب على النحو التالي ، إثر اجتماع مؤتمر الحزب أو لجنته المركزية:

المؤتمر الثالث (1946/03):

الأمانة العامة 03 ج(جزائري) و01 أ (أوربي)

المكتب السياسي 07 ج و 06 أ

اللجنة المركزية أغلبية أوربية

دورة اللجنة المركزية(1946/07):

03 ج و 01 أ

08ج و 07 أ

الأغلبية أوربية

المؤتمر الرابع (1946/04)

الأمانة 03 ج و 01 أ

المكتب السياسي 09 ج و 08 أ

اللجنة المركزية 23 ج و 25 أ

المؤتمر الخامس (1949/05)

03 ج و 02 أ

07 ج و 03 أ

30 م و 24 أ

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

المؤتمر السادس (1952/02)

الأمانة 03 ج و 02 أ

المكتب السياسي 08 ج و 04 أ

اللجنة المركزية 30 ج و 17 أ [13]

إن هذا التفاوت في التمثيل داخل الجزب الشيوعي بين الأوربيين والجزائريين لا يعكس في الواقع سيادة القرار والبرنامج و المبادرة. وقد عبرّ عن هذا الأمر عمار أوزغان منذ تأسيس الحزب الشيوعي في الجزائر : " (..) وكان للحزب الشيوعي الجزائري بعد استقلاله (عن الحزب الشيوعي الفرنسي)، قيادة عربية بأكثريّتها الساحقة (...) مبدئياً ، كان المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري قادراً أن يوجّه " مناضليه " ، لكنّه واقعياً ، كان لا يقدر أن يعدّل أو يغيّر توجيهات باريس." [14] وهو ما أكّدته ندوة الحزب الشيوعي في الجزائر في اجتماع سري في جوان 1941 : " أوّل خطإ الحزب الشيوعي الجزائري هو اعتبار نفسه ملحقاً للحزب الشيوعي الفرنسي دون عمل خاص ." [15] وما اعتبرته الندوة أعلاه " خطأ " أصبح اعتزازًا وفخراً في خريف 1942. كتبت جريدة الحزب **الصراع الاجتماعي**: " الحزب الشيوعي الجزائري وحده مراقَباً من الحزب الشيوعي الفرنسي الكبير والأمميّة الثالثة باستطاعته خوض الكفاح من أجل التحرير." [16]

والتحرير المذكور في الجريدة ليس بطبيعة الحال تحرير الجزائر بل تحرير فرنسا من الألمان وحكومة فيشي التابعة لهم.

. 2- أسباب عُزْلة الشيوعيّين جماهيريًّا في الجزائر:

1.2- استعلاء الأوربيين على الجزائريين:

إن المناضلين الشيوعيين من أوربيين وجزائريين، وقد ذكرنا أعلاه إحصائيات تخصّهم، كانوا قليلين في الواقع ومعزولين ومنعزلين عن جمهور الجزائريين. فعلى سبيل المقارنة غير الاستقصائية ، فإنّ مناضلي حزب نجم شمال إفريقيا في فرنسا دون الجزائر بلغ عددهم حوالي ألفين وخمسمائة (2500) عضواً عام 1935 ،(17) بينما لم يتجاوز عدد المناضلين الشيوعيين من أوربيين وجزائريين في الجزائر في نفس السنة السبعمائة (700) كما مرّ بنا. وقد توصّلت إحدى الباحثات الفرنسيات درست مسار الشيوعية

في الجزائر من 1920 إلى 1939 إلى النتيجة التالية : " لاحظت أن الحزب الشيوعي لم يبسُط وُجودَه في عموم المستعمَرة (الجزائر) ووجوده كان مرتبطاً بتركيبته. لقد كان حاضراً أوّلاً أين كان يعيش الأوربيون."[18]

وأسباب عزلة هذا الحزب عن جمهور الجزائريين وانحصاره، حتى لقبه بن علي بوكورت في 1931 ب " المنظمة الطائفية " ، [19] و موريس طوريز في 1933 ب " الطائفة الصغيرة عديمة الأهمية " [20] تعود إذا أجملناها إلى جملة أسباب رئيسية وهي ابتداءً رغبة قيادة الحزب الشيوعي المبدئية في عدم غلبة العنصر الجزائري على العنصر الأوربي . وقد وقف عند هذا الأمر مؤرخ الحزب الشيوعي في الجزائر إيمانويل سيفان : " (...) الحزب الشيوعي الفرنسي (...) لم يحرص أبداً على أن يكون للشيوعية في الجزائر عددٌ معتبَرٌ من المسلمين (الجزائريين) ليُكَوِّنوا منخرطيه الأوربيّين." [21] وسلك الحزب الشيوعي في الجزائر نفس السبيل. وقد استنكر بقوة بن علي بُوكُورت في سنة 1937 ، في **الصراع الاجتماعي** الناطقة بالفرنسية ، المعارضة المسْتمِيتة في صفوف الأوربيين داخل الحزب للانخراط الجماعي للجزائريين فيه . [22] وسبب هذا التوجّه أن قيادة الحزب الشيوعي كانت على الدوام تريد التوفيق بين العناصر الأوربية والجزائرية في الحزب، فإذا غلب العنصر الجزائري خشيت أن يتّجه الحزب إلى الوطنية، وهذا لم تكن تريده في الواقع، وسينتفض الأوربيون داخل الحزب ويغادرونه جماعياً. لذلك حرصت قيادة الحزب على الموازنة بين العناصر الأوربية والجزائرية في الحزب وإيجاد آليات قيادية وتنظيمية تحقق سيطرة العنصر الأوربي على الحزب وإن كان الأقلَّ عددياً في الأجهزة القيادية. واستقالة بن علي بوكورت الأمين العام للحزب الشيوعي في الجزائر (1936-1939) إلاّ تعبيراً على الدونية التي اِلتمسَها في تعامل أغلبية الأوربيين معه في الحزب الشيوعي. وقد أشار أُوزَغَان إلى هذا الأمر : " فقد أُسْنِد إلى أحد سكان العاصمة الفرنسية الدائمين ، الذي رفض أن يعمل " تحت إمْرة عربي "،مَنْصَبُ سكرتير المنظمة في جهاز اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري". [23]

وفي نهاية 1923 أبَان ألبيرت كرِيمِيُو ، المكلّف بالدعاية في الكونفدرالية العامة للعمل الموحّد، وهي نقابة تابعة للحزب الشيوعي الفرنسي ، هذه الحقيقة : " في الجزائر، إذا كشَطْنا ولو قليلاً الفَوْضوِيَّ والشيوعِيَّ والنقابِيَّ ، فإنّه من النادر جدّاً أن لا نجد تَحْتُ الأوربيَّ الغازِي.[24]

في 1928 عبّرت نفس الكونفدرالية ، عن نظرتها للجزائري بهذه المفردات : " الأهلي جاحد، وهو مخادِع ، ماكر، وَسِخ ، سارق ، الاحسان إليه كإعطاء المرَبَّى للخنزير، والاساءة إليه هي تعليمه كيف يرْضَخُ ويتحضَّر."[25]

2.2– تعَارُضٌ ديني وثقافي:

اعتبر الجزائريون الشيوعية خطراً على عقيدتهم الاسلامية لأن الشيوعية تتبنّى الإلحاد وتنشره. وقد كانت تحضرهم دائمًا التجربة البلشفية في روسيا الشيوعية التي حاربت الدين والتديّن وبالأخص الدين الاسلامي في الجمهوريات السوفياتية المسلمة. وقد حاول الحزب الشيوعي في الجزائر – دون جدوى كبيرة في الواقع – أن يقنع الجزائريين بتوافق الشيوعية مع الإسلام وعدم تعارضهما. و لهذا القصد كتب بن علي بُوكُورت كتاباً في 1935 باللغة الفرنسية عنونه : **شعب الجزائر مَن هم أصدقاؤك ؟** حاول فيه البرهنة على توافق الإسلام مع الشيوعية. [26] ولا ندري هل كان هذا التأليف مبادرة ذاتية أم تكليفاً من قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي في باريس. ويظهر أن ما كتبه لم يقتنع هو نفسه به لما رأى عن كثب معاملة النظام الروسي الشيوعي للمسلمين والإسلام.

ولا يقلّ العامل الثقافي حاجزاً عن الترحيب الجزائري الواسع بالشيوعية والانخراط فيها. وقد لخّصه سيفان بما يلي : " (...) كلّ المناضلين (الشيوعيين) كانوا يحملون البصمة الراسخة للتعليم الفرنسي ، وكانوا ينظرون لمسألة " التحرّر الوطني " بصفتهم فرنسيّين مشبَعين بالوطنية اليعقوبية (وحدة الجمهورية الفرنسية ورفض تقسيمها). وهكذا فهم غير قَادِرين على تصوّر جزائر غير مستعمرة إلا بتطوّرها في المجال الثقافي الفرنسي، وبالتالي كانوا غير مُبالَين (بل معارضين)(كذا) لكل "جزأرة " سواء في صيغة عربية – إسلامية ، أساساً (أو كلياً) أو من مزيج ثقافات المجْمُوعَتيْن ". [27] ويقصد بالمجموعتين الجزائريين والأوربيين.

كذلك فإن غموض سياسة الحزب الشيوعي بخصوص الوطنية الجزائرية كان من الأسباب التي عمّقت عزلته في الجزائر ونفور الجزائريين من العضوية فيه في الجزائر وفي فرنسا منذ 1927.

3- غموض الايديولوجيا السياسية عند الشيوعيين :

وقد بدأ هذا الغموض منذ نشأة الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1920 ، حين قرّر الشيوعيون بعد اجتماع كثير من فروع حزبهم في الجزائر بأن " تحرير العمال الأهليّين في شمال إفريقيا لن يكون إلاّ ثمرةَ الثورة في فرنسا .(...) " [28] فهو ربط للجزائر بفرنسا لأجل غير منظور وربطها كذلك بمصير الحزب الشيوعي الفرنسي، فأين التحرّر؟ أم معناه استبدال اليمين الحاكم في فرنسا والجزائر باليسار الفرنسي في المستقبل المحتمل لا غير؟

وفي 1922 رفضت أغلب مناطق الحزب الشيوعي في الجزائر(العاصمة سيدي بلعباس ، باتنة ، الاتحادية الشيوعية المشتركة لشمال إفريقيا) نداء الأممية الشيوعية ، وقد انضم الحزب الشيوعي إليها سنة 1921، وكان عنوانه " نداءٌ من أجل تحرير الجزائر وتونس". [29] واعتاد الشيوعيون على اختيار المفردات الفضفاضة حتى يُوهِمُوا المستعمَر أنّهم يَسْعون إلى تحريره من الاستعمار، لكن في واقع الأمر كانوا يقصدون تحريره من الرأسمالية وإدراجه على مراحل في الشيوعية بتوجيه الأممية الشيوعية وبهيمنة الأوربي لا الجزائري على مقاليد الحكم والسلطة. ولم يكن هذا الأمر يخفى على أغلب الشيوعيين الأوربيين أُطراً ومناضلين. وقد أفصح عن ذلك موريس طوريز في 1932 في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفرنسي ،بصفته أميناً عاماً : " نحن شُيوعيُّو فرنسا نعتزم الكفاح بكل قُوَّانَا لتحرير الشعوب المقهورة من الإمبريالية الفرنسية " وكرّر تقريباً هذه العبارة في زيارته للجزائر في السنة الموالية . [30] التحرير من الإمبريالية الفرنسية وليس من الشيوعية الفرنسية . وسيتبيّن لاحقاً بوضوح أكثر تلاعب الشيوعيين بالمصطلحات السياسية واختلاف منطوقاتها ومفاهيمها.

ومما نقرأ في أدبيات الشيوعيين في الجزائر سنة 1923 : " إن آلام المستعمرات مصدرها شهوات الرأسمالية ولن تزُول إلا مع زوَال النظام الرأسمالي نفسه و اعتماد نظام الانتاج السوفياتي العالمي."(31)

جاء في قرارات المؤتمَرَيْن الفيديرِالييْن للحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر 1923/1922 أن " الاستقلال " و الأرض للفلاحين " ليست شعارات عامة تصلح للتطبيق في الجزائر لأن الوضع في هذه الأخيرة يختلف عن الوضع في الصين و مصر." .[32]

وفي 1927 اعتمدت خلية الحزب الشيوعي في سكيكدة قراراً منطوقه أنها مع " استقلال الجزائر" لكن مفهومه ضدّه تماماً ، لأنّها كانت " ترفض كل توافق و لو كان مؤقتاً مع البرجوازية الأهلية ، التي إن

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

انتصرت جراء حركة وطنية قد يُمْكِنُها بالتحالف مع رجال الدين حُلفائِها المؤْثوقِين إطالة عبودية جمهور الفلاحين في هذا البلد لأمد طويل . ".[33] وإذا علمنا أن الشيوعيين كانُوا يَصِفون جميع التيارات الجزائرية وقتها بالبرجوازية ويفْصلون بينها وبين الفلاحين الجزائريين (اللفظ الأصح: عمّال الأرض، لأن قليلاً منهم مَن كان يملكها) الذين كانوا في الواقع هم أغلب سكان الجزائر الفاعلين ، فهي قناعة راسخة ببقاء الاحتلال لا استقلال الجزائريين.

وعشية الانتخابات التشريعية سنة 1928 رفض المدعو طَابَارُو، أحد قادة الحزب الشيوعي في وهران أن يكون اسمه على قائمة الحزب الشيوعي حتى " لا يضطر للدفاع عن طروحاته الاستعمارية." وقد كلّفه هذا الموقف طرده من الحزب رفقة اثنين من مؤيديه.[34] وحتى عندما كان الحزب الشيوعي يجهر بلفظ " الاستقلال " في حملاته الانتخابية في الجزائر، كما كتبت جريدة **الصراع الاجتماعي** في أعداد منها سنتي 1931/1928 ، كان يطلب من قِسْم من المنتخبين، (الأوروبيين على الأخص) ألاّ يأْخُذوا هذا المطلب ، أي مطلب الاستقلال، على محمل الجدّ.[35]

ومطالبة مصالي الحاج باستقلال الجزائر في 1927 في المؤتمر الأول للرابطة المناهضة للإمبريالية ببروكسل والتابعة للأممية الشيوعية – وقد نشأ نجم شمال إفريقيا تحت جناح الحزب الشيوعي الفرنسي ورعايته — كان موقفاً علنيّاً من مصالي ليُخرج النجم من قبضة ايديولوجية الحزب الشيوعي الأمميّة إلى التوجّه الوطني الاستقلالي.

نفس الموقف خارج توجّه الحزب الشيوعي الفرنسي الذي تبناه بن علي بوكورت في المؤتمر الثاني للرابطة المذكورة أعلاه في فرانكفورت الألمانية عام 1929. نفس موقف أرزقي بَانُون، في نفس السنة الأخيرة ، وهو من مؤسّسي النجم .

وسلك الحزب الشيوعي في الجزائر استراتيجية الحزب الشيوعي الفرنسي في مسألتي الاعتراف بالوطنية الجزائرية . جاء في بيان له صدر في أكتوبر 1936: " (...) لا نُخفي ولا نَترُك في أي وقت هدفنا النهائي الذي هو تحرير شعبنا في الجزائر من الظلم الامبريالي ، الاقطاعي والرأسمالي. لكنّنا لسْنا من أنصار المبدأ الخاطئ " الكلّ أو لا شيء." (...) نحن نعمل إذن للتّحسين الفوري من وضع السَّاكنة الكادحة الأوربية والعربية – البربرية في الجزائر. ومن أجل هذا ندعّم كلّ حركة طلائِعية، كلّ حركة مطْلَبيَّة

ونقابِية ، ونقدّم ثقتنا ودعمنا للحكومة لتطبيق برنامج الجبهة الشعبية".[36] ولا يخفى على القارئ الأبعاد السياسية للعبارات المستعملة في هذا البيان، وقد أشرنا سابقا إلى منطوق ومفهوم هذه العبارات المستعملة من الشيوعيين.

جاء على لسان قدُور بلقايم (بوصحبة قدور) أمين عام الحزب الشيوعي في الجزائر عن منطقة وهران في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي في ديسمبر 1937 ، معقّباً ومطريًا ما جاء في كلمة موريس طوريز في نفس المؤتمر : " (...) إذا كانت مسألة الساعة الحاسمة هي الكفاح المظفر ضد الفاشية ، فإن مصلحة الشعوب المستعمَرة هي في الوِحدة مع فرنسا وليس في موقف قد يكون لصالح مشاريع الفاشية " ، فعقّب بَلْقَايَم : " نعلم إنّ اتحاد شعب الجزائر وشعب فرنسا ضروريٌّ في الوقت الحاضر وللأبد ".[37]

كذلك ما ورد في السنة الموالية في جريدة **الصراع الاجتماعي** : " تصوّر استقلال الجزائر دون الوحدة الفرنسية الجزائرية في وجه الفاشية العالمية المعتدية والمتعطّشة للفتوحات الاستعمارية جُنونٌ وجُرْمٌ ... إنّه السقوط في لعبة الفاشية العالمية عندما نقوم باستفزازات بالمطالبة بالاستقلال ". [38]

4- مواقف مشبوهة تجاه الهيئات الوطنية الجزائرية:

مواقف الشيوعيين من الهيئات الجزائرية الوطنية والاندماجية كشف المستور حتى لأقل النابهين من الجزائريين في دروب السياسة والخطاب السياسي. وفيما يلي بعض هذه المواقف في الثلاثينات والأربعينات. وقد تباينت مواقف الشيوعيين في التعامل مع الهيئات الجزائرية بين " التعامل الاستراتيجي " حيناً عندما تقتضي مصلحتهم ذلك ، وفق الظرف والحاجة ، و المعارضة الصريحة إلى الخصومة الشديدة التي تصل إلى العداوة عندما يشعر الشيوعيون بالخطر على وجودهم جراء استقطاب الاتجاه الوطني للمناضلين والجماهير الشعبية.

و تعرّض النواب والعلماء في 1932 لحملة تشويهية مركزة من الشيوعيين، وكان غرضهم فصل هؤلاء عن قيادة الرأي العام الجزائري. وكان اتّهامهم لما كانوا يسمّونه " البرجوازية الأهلية الراكعة والمتصالحة أمام الإمبريالية الفرنسية ". وكان الشيخ الطيب العقبي من المتَّهَمِين " بمغالطة الجماهير وتدعيم الإمبريالية في سياستها الاستعبادية ." وعَنْوَنتِ **الصراع الاجتماعي** إحدى مقالاتها : " يسقط القادة الوطنيون الاصلاحيّون". [39]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

ولما أدركوا شعبية العلماء تحوّل بعضهم – في معارضة شديدة من اللجان المحلية الشيوعية– إلى المشاركة في المظاهرات المساندة للشيخ الطيب العقبي الذي منعته إدارة الاحتلال من إلقاء الدروس في المساجد. وتوصيات طوريز و فِيرَا المؤيِّدِيْن للتظاهر وُجِّهت إلى " المشاركة في كلّ تظاهرة وطنيّة بصفة مستقلّة " دون التحالف مع الوطنيين.[40] ولعلّ هذا التحوّل الاستراتيجي كان الغرض منه استمالة الجزائريين للتصويت لصالح الشيوعيين في الانتخابات ، لأن الحزب الشيوعي لم يحصل في 1932 إلاّ على ثلاثمائة وسبعة صوت (307) وهي أضعف نتيجة منذ 1923. [41]

وعادت **الصراع الاجتماعي** من ديسمبر 1932 إلى خريف 1934 للتهجّم على العلماء ومشروعهم الاصلاحي ، واعتبرت المنطقة الشيوعية أن " تركيزهم على المطالب الثقافية حيلة "البرجوازية الكبيرة " المسلمة المتعاونة (يقصد مع الامبريالية) " للتحكّم في الحركة الاصلاحية الناشئة لتضلّل وتحطّم كفاح العمّال الجزائريين من أجل تحرّرهم".[42] وعاد الشيوعيون للتهجّم على العلماء والنواب في سنة 1935 إلى غاية سبتمبر واصفين إيّاهم ب " الخونة ، البرجوازيّين الوطنيّين الاصلاحيّين".[43]

والتقرّب الاستراتيجي للشيوعيين من العلماء والنواب ابتداءً من خريف 1935 ، كان في أفق كسب أنصار للجبهة الشعبية اليسارية في الجزائر للتأثير على الانتخابات في فرنسا. وقد فازت الجبهة الشعبية في انتخابات أبريل 1936 وشكّلت حكومتها برئاسة ليُون بلُوم في جوان. و في هذا السياق الاستراتيجي شارك الشيوعيون في المؤتمر الاسلامي في تفس السنة الأخيرة ودعّمُوا مطالبه في البداية ثم تنكّروا لذلك. كتب أوزغان : (...) وقد تركت أغلبية المنتخَبين المؤتمر الذي وجّه إليه الشيوعيون الضربة القاضية، بالعصبية البيروقراطية. فقد فرض أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري بالتصويت ضد حلفائهم العلماء والقوميّين(الوطنيّين)، الاستمرار الاصطناعي لوحدة العمل مع الجبهة الشعبية الأوروبية".[44]وراح الشيوعيون يمدحون ما اعتبروه إنجازات الجبهة الشعبية التي رفضت مطالب وفد المؤتمر الإسلامي، واعترضُوا على الاستقالة الجماعية للنواب في سبتمبر 1937 بسبب عدم استجابة حكومة الجبهة الشعبية لمطلب إصلاح قانون الانتخابات.[45]

وسنبين موقف الحزب الشيوعي من العلماء أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها عند الحديث عن تجمّع أحباب البيان والحرية ومجازر الثامن ماي 1945، لأن الجمعية كانت طارفاً مشاركاً وفاعلاً.

ولم يختلف تعامل الشيوعيين مع نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري عن تعاملهم مع الجمعية، بل كان أقسى وأشرس. وقد بدأ انتقاد الشيوعيين للنجم عندما سلك مصالي الحاج ، في مؤتمر بروكسل السابق الذكر، غير الطريق الوظيفي الذي أرادته قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي وهو الإدراج في فلك الأمميّة الشيوعية ومناهضة الامبريالية و" التحرر" المفترض غير المنظور في إطار صراع الطبقة العاملة العالمية ، أو الفرنسية على الأقل. وذكر مُحَمَّد قنانش إن مصالي أخبره أن العلاقة بينه وبين الشيوعيين " بدأت تتوتر بعد إلقاء خطابه في المؤتمر". (46)

وتصريح الأمين الجهوي للحزب الشيوعي في الجزائر العاصمة للنشرية الرسمية الفرنسية **إفريقيا الفرنسية** في 1928 في وقت كان النجم يدعو جهاراً إلى تحرير بلدان المغرب العربي، يُفْصِحُ عن موقف الشيوعيّين من تحوّل ايدلوجية النجم : " (...) نجم شمال إفريقيا منظمة وطنية ، وإن الحزب الشيوعي يتابع بتعاطف كل المجهودات التي يفعلها المستعمَرُون المظْلُومُون للتحرّر، لكن لا تربطه مصلحة مشتركة مع المنظمات الوطنية لهؤلاء المستعمَرين". (47)

وفي الفترة التي حلّت وزارة الداخلية الفرنسية النجم (نوفمبر1928/ بداية مارس 1933) اضطر النجم للعمل في الخفاء، ولم يجد مساندة من الشيوعيين بل منافسة منهم على مناضليه الذين كانُوا في أغلبهم من العمال المغاربة في فرنسا. ومن مظاهر هذا التنافس إصدار الكونفدرالية العامة للعمل الموحّد الشيوعية لجريدة **الأمل** (بالفرنسية)، والتي تواصل نشرها بانقطاعات إلى غاية 1932، بغرض منافسة جريدة **الأمة** (بالفرنسية) التي أصدرها النجم في 1930 . (48)

كذلك أنشأ الحزب الشيوعي الفرنسي في 1933 لجان أحياء للمطالبة بإلغاء قانون الأهالي للحيلولة دون انتشار النجم في الجزائر.(49)

واشتدت هجمات الشيوعيين في **الصراع الاجتماعي** لتشويه مساعي النجم في 1934، فاتّهمت مؤيدي **الأمة** " بمحاولة خنق الشيوعية " ، و" أدانت اللغة الديماغوجية " التي يستعملها وطَنِيُّو النجم " ليَجُرُّوا خلفهم عناصر ثورية صادقة " ، وجزمت بعجز النجم وأي حركة وطنية أخرى عن خوض كفاحِ حتى النهاية لاستقلال الجزائر. وأن (...) " الشيوعية وحدها مَن سيحرّر الجزائر". واتّهمتْهم **الصراع الاجتماعي** كذلك بالتأثّر بشكيب أرسلان " خادم المندوب السامي البريطاني" و" المتَمرّد الذي دخل في حرب ضد المسلمين والبلاشفة ". (50)

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

وفي 1936 تقرّب الشيوعيون من العلماء و النواب وعقدُوا المؤتمر الاسلامي ، وأقرّ الشيوعيون مَطْلَبَيْ المؤتمر وهما إلحاق الجزائر بفرنسا رأساً ومشروع بلوم – فيوليت (اقتراح منح المواطنة الفرنسية لحوالي عشرين ألف جزائري (20.000) بمواصفات خاصة) ، وعارض مصالي توجّه المؤتمر الاسلامي ، و طالب ببرلمان جزائري ، فعارضه الشيوعيون بأنه من " الديماغوجية " محاولة جعل مطلب البرلمان الجزائري كمطلب فوري في وقت حاجة الساعة إلى " الخبز والمدارس " للجميع ، والحصول على حقوق المواطنة السياسية للمسلمين ". (51)

وزادت حدّة اتهامات وتشويه الحزب الشيوعي في الجزائر لحزب الشعب الجزائري ، الذي خلف النجم في مارس 1937 ، فوُصِف قادة و مُناضِلُو حزب الشعب ب " النّعاقِين " و" الوطنيّين المزيّفين " و" فرقة الحرب الأهلية " (ودعاة) " الانفصال الغبي والرجعي " . وكان ردّ حزب الشعب مماثلاً، إذ اعتبر الشيوعيين " مُوَالِين للإمبريالية " و " يهود شيوعيين " و "المرضيّ عنهم لدى الجمهورية "(يقصد عملاء لحكومة الجبهة الشعبية) و" المشْبَعِين عرقياً " ، وكان يتبع هذا السباب أحيانًا عراكٌ جسدي. (52)

و واصلت **الصراع الاجتماعي** التهجم على وطنيّي حزب الشعب في 1937، ومن اتهاماتها النارية في عدد 13 ديسمبر : " (...) إن المصاليّين (...) لهم مَهمّة المتاجَرة بسخَط جماهيرِنا المسلمة ، وخلق اضطرابات وتحضير سَاحةٍ مناسبة لموسوليني و هتلر. إن الوطزِيّين (تعمّد الكاتب تبديل حرف السين الأول بحرف الزاي في اللفظ الفرنسي ناسْيُونَاليسْت حتى يقرّب من لفظ النازيّين وظلاله) المصاليّين الذين تضاعف جهدهم خلال الفترة الأخيرة ، لم ينجَحُوا في سَعيِهم المجْرِم ". (53)

والعلاقة العدائية لم تكن بين الحزب الشيوعي في الجزائر فقط ، فقد رفض الحزب الشيوعي الفرنسي تعبأة الرأي العام في فرنسا ضد قرار وزارة الداخلية حلّ النجم يوم 1937/01/26.(54) ولم تتحسّن العلاقات بين حزب الشعب والشيوعيين خلال 1937 و السنوات القادمة بل تفاقمت حتى 1941. ونكتفي بإيراد مقطع من كلمة ألقاها مصالي في وهران في تجمّع شعبي يوم 31 يوليو 1937 تبيّن طبيعة العلاقة مع الشيوعيين : " (...) الشيوعيون الذين يجدون من الطبيعي تأسيس جمهورية سوفياتية في الجزائر يدّعون منع الوطنيّين الجزائريّين من المطالبة باستقلال بلد يملكونه وأن آباءهم دَافَعُوا عنه والسلاح بأيديهم(...)".(55) والذي يطالع جريدة **الأُمَّة** في السنتين التاليتين 1939/1938، يجد فيها سخطاً

كبيراً من حزب الشعب إزاء الشيوعيين . ونقرأ في الصحفة الافتتاحية لخمسة أعداد من **الأمة** ، ثلاثة منها في 1938 وواحد في 1939 ما ملخّصه : اتّهام الجريدة للحزب الشيوعي بالوشاية بالمناضلين الوطنيين للشرطة ، واتّهام الشيوعيين بعدم مساعدة حزب الشعب بخصوص المساس بالحقوق والحريات واعتقال مناضليه وسجن بعضهم، بل بمساندة الشيوعيين "ديكتورية " الجبهة الشعبية . ونقرأ كذلك هذا الردّ القويّ الخشن على الأمين العام للحزب الشيوعي وقتها بن علي بوكورت الذي تمادى في تجريح حزب الشعب في **الصراع الاجتماعي** ، و وَصْفِه ب " النَبَّاحِ ". وأخيرًا :" الحزب الشيوعي الكبير في الجزائر" (لغة تهكّم) يجنّد عامة الناس و أحلاس الموانئ لمنع فوز مرشح حزب الشعب في انتخابات " المجلس العام ". (56)

5- نَفْيُ وجود الأمة الجزائرية و تنكّر لاستقلال الجزائر:

وما عكّر كذلك علاقة حزب الشعب مع الشيوعيين أن الحزب الشيوعي في الجزائر اِنْسَاقَ إلى مقولة موريس طوريز الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي الذي نفى وجود الأمة في مفهوم كلامه في اجتماعه بالشيوعيين بالعاصة يوم 11 ففري 1933 إثر جولة له بالجزائر:

" ثمة الأمة الجزائرية التي تتكوّن تاريخياً ويمكن تسهيل تطوّرها مُعانَةً بمجهود الجمهورية الفرنسية (...) هناك أمة جزائرية في طور التكوين، هي كذلك، في خليط عشرين عِرْقاً."(57)

فلا يعقل لحزب ينفي وجود الأمة الجزائرية أصلاً ويدرج الشعب الجزائري في خليط من عشرين عرق أن يعمل لاستقلال أمة لا يؤمن بوجودها . و مفهوم مقولة طوريز هذه نفيٌ ونسفٌ غير مباشر من الأساس لمطلب الاستقلال الذي كان يُنادي به حزب الشعب ، لأنّه يستحيل منطقياً وسياسياً أن يطلب استقلال أمّة ما زالت فيَ طوْرِ التكوين.

وتغيّر موقف وخطاب الجزب الشيوعي في الجزائر من حزب الشعب الجزائري، على الأقل في الظاهر خلال 1941، وكان التنظيمان قد حلّتهما الادارة الفرنسية في 1939 وكان يَعْمَلان في السريّة ، فجاء في منشور وُزِع في بداية يُولْيو : " لا بدّ من كَسْر أغلال العبودية التي تفرضها الامبريالية الفرنسية على الشعب الجزائري وعلى كل شمال إفريقيا... الحزب الشيوعي الجزائري يرفع علم استقلال الجزائر ، ويمدّ يده أخَوِياً إلى المنظمات الجزائرية ، إلى إخوانِنا في حزب الشعب الجزائري ، إلى القوى النقابية ، إلى تجمعات الأحرار والتقدميّين ، إلى كُلِّ الذين يريدون الكفاح من أجل حكومة وطنية وشعبية في جمهورية شعبية

جزائرية حرّة ومستقلة مرتبطة بفرنسا محرّرة". [58] والاستقلال المذكور في المنشور إنّما هو الاستقلال عن حكومة فيشي بقيادة الجنرال بيتان المتعاون مع الألمان لا استقلال الجزائريين عن فرنسا وتصفية الاستعمار. وما أثبته المنشور من معاني إنسانية وسياسية بلغة الحزب الشيوعي الخاصة في متنه ولو ظاهرياً، نَفتْه بصراحة الجملةُ الأخيرة منه، التي جمَعت جمعاً متناقضاً بين الاستقلال والارتباط مع فرنسا ؟

وحلّ الحزبين، حزب الشعب والحزب الشيوعي من طرف إدارة الاحتلال لا يخضع لنفس المقاييس والمحاذير عند سلطة الاحتلال. فالأوّل في تقدير الاحتلال كانت مطالبه تهدّد مستقبل الاحتلال في الجزائر، وإن كان ذلك وقتها على مستوى المبادئ والمطالبة السلمية فقط . وكان عدد أنصاره من الجزائريين في تعاظم. وبوادر حرب عالمية ثانية كانت في الأفق تُلْزِم الحذر الشديد والخوف من محاولات محتملة لاستغلال دول المحور حزب الشعب وتوظيف معارضته للاحتلال ضد الحلفاء وبالأخص فرنسا. وأما حلّ الحزب الشيوعي في الجزائر فخضع لاعتبارات أخرى ، أهمّها كونه معارضة شيوعية مرتبطة تنظيماً وبرنامجًا ، مع بعض التعديل والتكييف على الجزائر، بالحزب الشيوعي المرتبط هو بدوره بالأمميّة الشيوعية التابعة للاتّحاد السوفياتي وقتها. فقبل حلّه كان محلّ متابعات استخباراتية وشُرطِية وتضييقات مختلفة (متابعات قضائية ، سجن، الخ...) لأن الشيوعية كانت تهدّد النظام الرأسمالي الحاكم – إلاّ في فترات محدودة حكم فيها اتحاد اليسار– فكان عليه في منطقه و سبيل بقائه في الحكم إضعاف الشيوعيين بكل الطرق. لكن موافقة الحزب الشيوعي في الجزائر على المعاهدة الألمانية – الروسية المعلنة يوم 1939/08/25 كان القطرة التي أفاضت الكأس، إذ اعتُبِر موقِفُه تحالفاً مع مُسَالِمٍ للعدوّ ألمانيا.

وعندما نزل الحلفاء في شمال إفريقيا في نوفمبر 1942 ، و وضَعُوا حدّاً لحكم حكومة فيشي في شمال إفريقيا ، غاب شعار " رفع علم استقلال الجزائر " ، وأضحت مطالب الحزب الشيوعي في الجزائر غير ذلك تماماً . ورد في منشورات وزعها الحزب يوم 1942/11/30 بإمضاء ما دعي " جبهة الحرية "، ومُعَنْوَنَة " الطموحات الشرعية لسكان إفريقيا الشمالية " ، لم يطالب فيها الحزب إلاّ بحلّ الجماعات الفاشية و ونزع سلاحها واعتقال الفرنسيّين الهتليريّين، وإطلاق سراح المُعْتقَلِين السياسيّين ، تطهير الإدارة ، وإعادة إدماج الموظّفين المفصولين عن عملهم .[59]

وغاب كذلك عن محرّر أو محرّري هذا المنشور توضِيحَ المعْنِيّين من المعتَقلِين بالإفراج، أهم السياسيون الأوربيون الذين عَارضُوا حكومة فيشي فقط أم يشمل هذا الافراج كل المعتقلين السياسيين بما فيهم مساجين الحركة الوطنية الجزائرية ؟ نفس الشيء بالنسبة لإعادة إدماج الموظّفين المفصولين.

وانجلى أكثر موقف الشيوعيين من استقلال الجزائر بمعارضتهم لمضمون بيان الشعب الجزائري المعْلَنِ عنه يوم 1943/02/10 ، و اجتمع على المطالبة بمضمُونه كلٌّ من فرحات عباس والعلماء وحزب الشعب ، وكان لفرحات عباس الدور الريادي في وجوده. وممّا وَرَدَ في هذا البيان : " استنكار الاستعمار وتصفيته ، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق واستغلال شعب لشعب آخر (...) وتطبيق مبدإ تقرير المصير لجميع البلدان". (60)

ونكتفي من الشواهد على موقف الشيوعيين لتجنّب الاطالة لكثرتها بإيراد تصريح عمار أوزغان ، الذي سيُصبِح الأمين العام للحزب الشيوعي في نفس السنة : " (...) تحصلون على حقوقكم بالتعاون مع أصدقائكم الفرنسيين .و نرفض التعاون مع الذين يضلّلون الجمهور ويريدون إقحامه في السبيل الخطير." ، وأن البيان كُتِب حسبهم في مكاتب الحاكم العام " بِنصَائِح و موافقة السيد مُورْفِي ممثّل الولايات المتحدة الأمريكية ". و هؤلاء " الوطنيّين المزيّفين(...) تخلّوا عن الجحش النازي ليَرْكَبُوا (...) باخرةَ الميثاق الأطلسي". (61)

وبينما كان الوطنيّون الجزائريّون يطالبون بمضمون بيان ففري 1943، قدّم الشيوعيون "للجنة الاصلاحات الاسلامية " التي عيّنها الحاكم العام الجنرال كَاتْرُو برنامجاً يتوافق مع مخططات هذا الأخير، والذي اقْتَرَحُوا فيه تطبيق مشروع بلُوم – فيُولِيت مع بعض التوسيع في الفئات الجزائرية المستفيدة منه.(62) ولا تخفى المعارضة الضمنية للمطالب الوطنية وقتها ، ومحاولة عزل الوطنيّين عن الساحة السياسية بالتحالف مع سلطة الاحتلال القائمة.

ولم يسلم تجمّع أحباب البيان والحرية الذي تأسّس في مارس 1944 على أساس بيان 1943 من مواجهة استنكارات الشيوعيين على مطالبه و منافسة تنظيمية منهم في محاولة لصد الشعب الجزائري عن الالتفاف وتأييد برنامج هذا التجمّع. فعن بعض استنكارهم ما ورد عنهم بتاريخ 1944/04/01 : " الحديث عن استقلال الجزائر ديماغوجية ، إنّه غير ممكن بسبب التركيبة الاستعمارية الحالية للبلد : وبالضرورة ستكون الجزائر رهينةً للخارج". (63)

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص165– 188

وعن المنافسة التنظيمية أنشأ الشيوعيون ما أسموه : " أصدقاء الديمقراطية " وحاوَلُوا منافسة أحباب البيان والحرية واستمالة مؤيّديهم وإبعادهم عن المطالب الوطنية وتوجيههم إلى بعض المطالب الاجتماعية والمعاشية والثقافية ودعوة لدعم الدولة الفرنسية في حرب الفاشية والنازية. (64)

و واصل الأمين العام للحزب الشيوعي في الجزائر عمار أوزغان التهجّم على الوطنيين والتشكيك في نواياهم وتسفيه مطالبهم. ففي تقرير قدّمه للندوة المركزية للحزب يوم 1944/09/23 ، ألقى باللّوم على مَن سماهم " أشباه الوطنيين " الملهمين من الإمبرياليات الأجنبية لتشجيع الانفصال. و " (...) إنّهم لم يفهمُوا أن إفريقيا الشمالية الغير مرتبطة بفرنسا الجديدة، ستكون بالنسبة للجزائر هيمنة المائة سيّد الاستعماريّين، لأن مصلحة الجزائر ليست في طلب الطلاق من فرنسا الجديدة". (65)

وتدخَّل الحزب الشيوعي الفرنسي هو كذلك في هذه الحملة التشويهية و التحريضية ضد الوطنيّين ، فقد صرّح نائبه في البرلمان المدعو دومِيسْوَا : " جريدة **المساواة** (وهي جريدة أحباب البيان والحرية) يحرّرها أشباه وطنيّين ومعادين لفرنسا ". (66)

وقبل تعاظم عداوة الشيوعيين للوطنيين غداة مجازر الثامن ماي 1945، فقد افتتحوها في بداية هذا الشهر في يومه الثالث بتوزيع منشور، بعد سقوط قتلى من الجزائريين في العاصمة ووهران الذين شاركوا في مظاهرة نظمتها نقابة الكونفدرالية العامة للعمل و نادوا بشعارات وطنية وطالبُوا بالاستقلال وإطلاق سراع مصالي. ومما جاء في هذا المنشور : " (...) الاستفزاز من حزب الشعب الجزائري الذي يتلقى تعليماته من برلين عند هتلر الذي يُذَبّحّ ويعذّب بدون تمييز جنود الجيش الفرنسي الشجعان: أوربيين ومسلمين." (67)

وتعاظمت عداوة الشيوعيين للوطنيين غداة مجازر الثامن ماي 1945، وكانوا

شركاء في الحكومة الائتلافية في باريس، وأُسْنِدَ منصب نائب رئيس الوزراء إلى الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي موريس طوريز ، ووزارة الطيران لشارل تِيُون ، وكان شيوعياً ، وقُصِفت عدة مدن ساحلية جزائرية بسلاح الطيران الذي كان تحت إدارته ومسؤوليته. (68) وفي العاصمة الجزائر توجّه وفدٌ من شيوعيين معروفين إلى رئيس ديوان الحاكم العام ، وكان الوفد يضمّ عمار أوزغان الأمين العام للحزب

الشيوعي في الجزائر وكابَالِيرُو، ومسؤُولَيْن عن الحزب الشيوعي الفرنسي هما نُوفُو و جُونَاس ، و أخبروه " باستفزازات الهتليريّين داخل حزب الشعب". (69)

كما سلطت جريدة **الحرية** ، لسان حال الحزب الشيوعي في الجزائر والناطقة بالفرنسية ، اتهاماتها اللاذعة والمستفزّة لقيادة حزب الشعب ،وكان مناضِلُو هذا الحزب يُوشُون بالمناضلين والمتعاطفين من الوطنيّين إلى إدارة الاحتلال ، وقد رحّبت الجريدة أعلاه وجريدة الحزب الشيوعي الفرنسي **لومانيتي** باعتقال فرحات عباس ود. سعدان.(70) ومن أقسى ما كتبته هذه الجريدة الأخيرة عن الوطنيين وخاصة قيادة حزب الشعب المحلّ : " هذه الوسائل الإجرامية الذين هم قادة حزب الشعب الجزائري ، أمثال مصالي والوشّائين المندسّين في المنظمات الوطنية المزعومة ...لا بدّ من معاقبة سريعة و بدون شفقة... دعاة الانتفاضة والأعوان الذين قادُوا التمرّد".(71)

ويكفينا قراءة عناوين بعض أعداد جريدة **الحرية** الشيوعية التي كتبها الأمين العام للحزب الشيوعي في الجزائر عمار أوزغان و العربي بوهالي وفيكتور جوناس بين شهري ماي ويوليو 1945 للتعرّف بوضوح عن موقف هذا الحزب من المظاهرات ومطالبها . ومن هذه العناوين : " وطنيّون مزيّفون ، مُخْبِرون ، مُجرِمون وأعوان الفاشية " و " وطنيون مزيّفون وفاشيون " و " وكلاء الوطنيين المزيّفين " و " الاستفزاز القسنطيني الفظيع ، يجب الإصلاح السريع للأخطاء الإجرامية بإعطاء الخبز". (72)

ولم يكتف الشيوعيون بالقول بل كانوا شركاء فعليّين في مجازر شهر ماي الدامية إذْ تكوّنت ميليشيات من المستوطنين تميّز منهم في الشرق الجزائري شيلان وثلاثة مناضلين شيوعيين كان أحدهم مهندسًا والثاني مراقبًا بالبريد والمواصلات والثالث عاملاً. كما شاركوا في الميليشيات الأوربية في مدينة بجاية. (73)

وحتى بعد مُضِي أكثر من شهر على المجازر والاعتقالات والظلم الفظيع الذي حل بالجزائريين بقي الشيوعيون على عداوتهم وتشويههم للوطنيّين. جاء في ملخص تدخّل بول كاباليرو باسم وَفْدِ الحزب الشيوعي في الجزائر في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي أواخر جوان الذي نشرته **لومانيتي** : " الشعب الجزائري له نفس أعداء الشعب الفرنسي ، ولا يريد الانفصال عن فرنسا. إن الذين يطالبون باستقلال الجزائر (...) هم عناصر وَاعُون أو غير واعين لإمبريالية أخرى. ولا نريد تغيير حصان أعْوَر بحصان أعمى .(تصفيق الحضور). وعلى العكس فإن الحزب الشيوعي الجزائري يُكَافِح من أجل تَقْوِيَة

الوحدة بين الشعب الجزائري وشعب فرنسا ، على قاعدة الكفاح المشترك ضد سلطة الشركات الاحتكارية والمائة سيّد الاستعماريّين ، وضد الطَابُور الخامس ، من أجل ديموقراطية حقيقية ". (74)

ويُمكِننَا زيادة عرض مثل هذه الشهادات من شيوعيّي حزب الجزائر وشيوعيّي الحزب الفرنسي لولا خشية الإطالة ولتقديرنا أن الأمر قد اتّضح بما فيه الكفاية.

6– دعوة غامضة لتأسيس حكومة وبرلمان جزائريَّيْن:

وأراد الشيوعيون أن يعُودُوا إلى الساحة السياسية وقد تخلّصُوا من منافسيهم الوطنيين الجزائريين ، ويحصدوا كل أصوات الهيئة الانتخابية الثانية الخاصة بالجزائريين. لكن شعبيّتهم تقهقرت وساءت سمعتهم أكثر عند الجزائريين لِمَا وقفوا من مواقف وما ارتكبوه من أفعال ضدهم وضدّ استقلال الجزائر. وهذا لم يكن خافياً على قيادة الحزب الشيوعي في الجزائر ، ففي تقرير سري داخلي تلاه العربي بوهالي ، أحد الأطر الجزائرية في الحزب سنة 1947، أي حوالي سنة من انتخابات 2جوان 1946 الكارثية بالنسبة للحزب الشيوعي : " غداة الثاني من جوان ، لا بدّ من قوله وبعد تردّد ، لقد أدركنا بأن الحزب الشيوعي الجزائري كان موجوداً خارج الحركة الوطنية. وكان لا بدّ من الاختيار بين السياسة الطائفية ، المتردّدة المتبعة إلى حدّ الآن وتلزمنا بهدر عمرنا مع العناصر من أصول أوربية ، وسياسة جريئة وتوحيدية عميقة التي تمكّننا من الانضمام في الحركة الوطنية".(75)

وسعياً وراء تحقيق هذا الانشغال أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي في الجزائر نداءً عقب اجتماعه الموسّع يومي 20و21 يوليو 1946 ، دعا إلى إقامة مجلس وحكومة جزائريين يسيّران جميع شؤون الجزائر ، وكذا إلغاء منصب الحاكم العام وإدارته ، و" ستتعاون الحكومة و المجلس (الجزائريان) مع ممثّل الجمهورية الفرنسية في قضايا الشؤون الخارجية وشؤون الدفاع ، وأن تتكوّن القوات المسلحة المقيمة في الجزائر من جزائريّين .و إن المجلس الجزائري سوف ينتخب بالاقتراع العام المباشر ، وبصفة مؤقتة من تمثيل متساوٍ ، نصفه من الجزائريين من أصل أوربي والنصف الآخر من جزائريين مسلمين . أما الحكومة الجزائرية فسوف تكون منتخبة من المجلس الجزائري ومسؤولة أمامه . وسوف تكون بصفة مؤقّتة، مُنصَّفَةً بين الجزائريين المسلمين والجزائريين من أصل أوربي (...) وأن تكون هذه الجمهورية متّحدة بروابط

فيدرالية مختارة بحرية مع الشعب الفرنسي والشعوب الأخرى في إطار الاتّحاد الفرنسي(يقصد الاتّحاد مع الشعوب الخاضعة للاستعمار الفرنسي).[76]

إن الحزب الشيوعي لم يدع إلى الاستقلال بل إلى حكم فيدرالي مع فرنسا وهذا واضح في آخر النص المقتطف من نداء لجنته المركزية ، وإن حاول إغراق هذا المعنى بالحديث الاجوف سياسيًّا وواقعيًّا عن حرية هذا الاختيار مع الشعب الفرنسي وشعوب المستعمرات الفرنسية ، وشتّان بين الاستقلال والحكم الفدرالي.

و المصطلحات السياسية والإدارية المستعملة في البيان غامضة عن قصد. فمن هم مثلاً " الجزائريين المسلمين " الذين سيسمح لهم بالمشاركة في انتخاب المجلس الجزائري وكل الاتجاه الوطني وقتها ممنوع من العمل السياسي بعد مجازر 8 ماي 1945 وأبرزهم حزب الشعب الجزائري ؟ وما صفة " المجلس الجزائري" المقترح استشارية أم تنفيذية ؟ و " التعاون مع الحكومة الفرنسية " ما معناه ؟ وما صفة " الجزائريين المسلمين " التي ستتكوّن منهم القوات المسلحة في الجزائر ، ضباطًا وصف ضباط وجنودًا أم جنودًا مأمورين فقط ؟ وبإمكاننا أن نسترسل في الاستفهامات ...

ثم إن الحكم الفدرالي بالطرح الشيوعي مغشوش في الاساس وإن دعا النداء إلى مناصفة جزائرية أوربية في تشكيل المجلس والحكومة الجزائريين . ألم يُعَانِ الجزائريون المنتمون إلى الحزب الشيوعي في الجزائر نفسه التمييز العرقي والدونيّة والحجْب عن المساهمة الفعلية في صناعة القرار داخل الهيئات القيادية والتبعية الدائمة للحزب الشيوعي الفرنسي، ولولا إلحاح الأممية الشيوعية في العشرينات لما سمح لهم بالانخراط في هذا الحزب أصلاً ؟

والنتيجة المنطقية للطرح الشيوعي تفضي حتمًا إلى استبدال احتلال أوربي يَمِينِي باستعمار أوربي يساري، وهذه حقيقة الجمهورية التي بشّر بها الحزب الشيوعي في الجزائر.

7- الخلاصة:

تبيَّن بعد الدراسة أن "جزائرية " الحزب الشيوعي في الجزائر بالمعنى العرقي محدودة في مجمل الفترة المدروسة وقد بيّنا ذلك في متن الدراسة بالأرقام. وقبول الجزائريين في " الفيديرالية الشيوعية في الجزائر" (1920-1925) ثم " المنطقة الشيوعية " (1925-1936) لم يكن طوعاً بل فرضته الأمميّة الشيوعية لأن الشيوعيّين الأوربيين المؤسّسين لهذه الهياكل لم يكونُوا يقبلون العناصر الجزائرية، عكس الذي

حدث في فرنسا، حتى كان أول رئيس لنجم شمال إفريقيا حاج علي عبد القادر منتسباً للحزب الشيوعي الفرنسي.

نفس الأمر بالنسبة للأطر الجزائرية في هذا الحزب، فقد فَرَضَها فرضاً أنْدرِي فِيرَا سنة 1934 رغم معارضة أوربية داخلية شديدة. وتَغْليبُ العناصر الجزائرية عدَدِياً في الهيئات القيادية للحزب الشيوعي لم يكن له أثرٌ واقعيٌّ ولا تسيِيرِيٌّ لأن القرار الفعلي كان للسلطة الأوربية الموازية في هذه الهياكل. ويكفي أن نعرف أن نائب الأمين العام للحزب الشيوعي في الجزائر كان على الدوام أوربياً، ومرتبطاً بتوجيهات " الأخ الأكبر " الحزب الشيوعي الفرنسي.

وتبيّن بعد الدراسة كذلك أن " الحزب الشيوعي الجزائري " مرتبط في النشوء والتوجيه والتكوين والمراقبة الدورية الدائمة مع الحزب الشيوعي الفرنسي إلى غاية 1952 على الأقل.

أما عن وطنية هذا الحزب، فقد اتّضح أنّه كان يستعمل مصطلحات مثل " التحرّر " و " الاستقلال " لكنّه لم يكن يضمّنها نفس المعاني السياسية التي يعرفها ويؤمن بها الوطنيّون الجزائريون : فالاستقلال عنده التخلّص من الامبريالية أو الرأسمالية العالمية أو على الأقل الفرنسية ،و كانوا في المفهوم يعنون نظام / نظم الحكم الرأسمالية ، ولم يكونوا يعنون الاستعمار في ذاته. و أما التحرّر فلا يكون عندهم إلاّ في إطار الحركة الشيوعية العالمية بعيداً عن القطرية دون تحديد أفق زماني معلوم أو معقول.

وهذا التنظيم وهذه المفاهيم جعلتهم في الأعم الغالب ، إلاّ في فترات متقطّعة محدودة ، في صراع مع الوطنيّين الجزائريّين ، لأن هؤلاء كانوا يطالبون ويسعون إلى استقلال وطني يعيد الحكم إلى الشعب الجزائري حقيقة ، بينما كان الشيوعيون يريدون استبدال نظام الحكم الاستعماري الرأسمالي بآخر يساري شيوعي ، وقد عبّر عنها مصالي الحاج ب " جمهورية سوفياتية في الجزائر ".

8- الهوامش:

(1) Emmanuel Sivan : **Communisme et nationalisme en Algérie 1920– 1962**, Imprimerie Chirat , Loire,France,1976,pp.64-87.

(2) كتب سيفان أنه عُثِر بعد تفتيش مكاتب" الحزب الشيوعي المغربي " على ملخص ندوة أقيمت في الجزائر العاصمة في نوفمبر 1951 بحضور فِيكْس ومِينْيُو عن الحزب الشيوعي الفرنسي والأمناء العامين للأحزاب الشيوعية المغاربية ، وتقرّر " جعل العاصمة

الجزائرية مركز الشيوعية في إفريقيا الشمالية **تحت مراقبة ممثّل دائم من الحزب الشيوعي الفرنسي**(الإبراز من قِبَلِنا)،كان سيشغله أندري كارِيل من جريدة **لومانيتي** " (نفسه، ص.193).

(3) **Alain** Ruscio, "Le Parti communiste algérien, de l'après-Libération à la veille de la guerre d'indépendance, 1946-1954", ***Cahiers d'histoire. Revue d'histoire critique*** , 140 | 2018, Online.

(4) Sivan, id.p.33.

(5)Id.p.55.

(6) Id.p.70-86.

(7) Id.p.106.

(8) Ageron Charles Robert, le parti communiste algérien de 1939 à1943,in **Vingtième siècle**, **revue d'histoire** , n°12,oct.déc.1986,p40.

(9)Céline Marangé, ¨ André Ferrat et la création du PCA (1931-1936 ¨, in **Histoire @ Politique**, n°29,2016, en ligne.

(10)Ageron, art., cit.,p.41 , Sivan,op.cit.,p.90 ,René Gallissot, Boukort Ben Ali écrit aussi Boukourt Benali ¨, version mise en ligne 24/09/2010.

(11)Eloise Dreure , **Moscou–Paris–Alger**, **naissance et affirmation du PCA**, **1920-1939**,Thèse, université de Bourgogne ,France ,2022, Texte de soutenance,09 pages, en ligne.

(12) Sivan,op.,cit.,p.109.

(13) Id., p.163.

(14) عمار أوزيغان ، **الجهاد الأفضل** ، ط.1، دار الطليعة ، بيروت ، 1962، ص. 73.

(15) Sivan, op., cit.,p.102.

(16) Id.,p.119.

(17) Marangé, art., cit.,pp.190-219.

(18) Dreure, art.,cit.,p.4.

(19)Sivan,op.,cit.,p.59.

(20) Marangé, art., cit.,p.190-219.

(21) Sivan,op.,cit.,p.108.

(22)Sivan,op.,cit.,p.90.

(23) أوزيغان ، المصدر السابق ، ص.72.

(24) Sivan,op.,cit.,p36.

(25) Id.,p.63.

(26) Marangé art., cit., p190-219.

(27) Sivan,op.,cit.,p.69.

(28) Id.,p.25.

(29) Mahfoud Kaddache, **Histoire du nationalisme algérien**. **Question nationale et politique algérienne**,1919-1951,t.1,SNED,Alger,1980,p.140.

(30) Id.,pp.323-325.

(31) Sivan,op.,cit.,p.30.

(32) Id.,p.49.

(33)et (34) Id.,p.60.

(35) Id.,p.53.

(36) Kaddache,op.,cit.t.2,p.923.

(37)et (38) Sivan, op.,cit.,p.97.

(39) Kaddache, op.,cit.,t.1,p.322.

(40) Marangé, art., cit., p.10.

(41) Sivan,op.,cit.,p.55.

(42) Id.,p.68.

(43) Id.,p.91.

(44) أوزيغان، المصدر السابق ، ص .(75).

(45) Sivan,op.,cit.,p.105.

(46) محمد قنانش ، **المسيرة الوطنية و أحداث 8 ماي 1945** ، دحلب ، الجزائر ، 1990، ص.31.

(47) Kaddache ,op.,cit.t.1,pp.201-202.

(48) Gallissot, art.,cit.

(49) Marangé, art.,cit.,p.11.

(50) Kaddache,op.,cit.,p.358-359.

(51) Sivan,op.,cit.,p.96.

(52) Id.,p.99.

(53) Ageron,art.cit.,p.40.

(54) Sivan,op.,cit.,p.96.

(55) Kaddache,op.,cit., t.2,p.554.

(56)**EL-OUMA** ,des 27/05/1938),(24/07/1938),(25/10/1938),(01/4/1939),Gallica,biliothèque numérique de la bibliothèque nationale française, photos des premières pages de ces numéros.

(57) Sivan,op.,cit.,p.111.

(58) Ageron,art.,cit.,pp.46-47.

(59) Id.,p.48.

(60) فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، مطبعة فضالة، المغرب، د.تا.ط ، ص.111.

(61) Ageron,art.,cit.,p.49.

(62) Sivan,op.,cit.,p.131.

(63) Kaddache,op.cit.,t.2,p.685.

(64) Claude Collot -Jean-Robert Henry, **Le Mouvement National Algérien**, **textes 1912-1954**, 2éme éd.,OPU,Alger,1981,pp.188-191.

(65) Kaddache,op.cit.,t.2,p.687.

(66) Sivan,op.,cit.,p.137.

(67) Kaddache,op.,cit.,p958.

(68) Id.,p.716.

(69) Sivan,op.,cit.,p141.

(70) Kaddache, op.,cit.,p.723.

(71) Sivan,op.,cit.,p.142 et Kaddache,op.,cit.,p.723.

(72) successivement : **Liberté** n°99, 17/05/1945,pp.1-3. **Liberté** n°102, 07/06/1945,pp.1-3. **Liberté** n°103,14/06/1945, **Liberté**, n°99,17/05/1945,pp.1-3.

(73) Sivan,op.,cit.,pp.144-145.

(74) Alain Ruscio, Les communistes et les massacres du Constantinois (mai-juin 1945), in **Vingtième siècle Revue D'histoire**, 2007/2 n°94, pp.217-229,on line.

(75) Sivan,op.,cit.,p.154.

(76) Collot , Henry,op.,cit.,p.228-231.